

الحلقة الثانية والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تسعى مستمعي لكي تكون قدوة لغيرك؟ قدوة في الكلام في السلوك في العمل؟ وهل تسعى لكي تكون مثلاً صالحاً لكل الناس الذين حولك لا سيما الأولاد؟ وهل تعلم مدى الأثر الإيجابي الكبير الذي تتركه لاسيما على الأولاد؟ وهل تعلم أيضاً أن أي كلام غير لائق، أو سلوك سلبي، أو عمل شرير تقوم به لا بد أن يترك أثراً سلبياً على الناس من حولك لا سيما الأولاد؟ فالأولاد هم كالإسفنج الذي يمتص كل شيء الجيد والفاقد. ولهذا علينا أن نكون دائماً مثلاً صالحاً لهم وللجميع.

وفي اللقاء الماضي كنا قد تأملنا بقول المخلص المسيح: «إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْأَوْلَادِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» وأيضاً بكلام المسيح عن الذي يُعثر الأولاد أو صغار المؤمنين، وأنه «خَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ» (بشارة متى ٨: ٣، ٦). ثم تابع المسيح قوله:

«وَكِنْ وَيَلْ لِدَلِكِ الْإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ! فَإِنْ أَعَثْرَتَكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْفَهَا عَنكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجاً أَوْ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَلْقَى فِي النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ وَلكَ يَدَانِ أَوْ رِجْلَانِ. وَإِنْ أَعَثْرَتَكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْفَهَا عَنكَ. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَلْقَى فِي جَهَنَّمَ النَّارِ وَلكَ عَيْنَانِ. أَنْظُرُوا، لَا تَحْتَفِرُوا أَحَدَ هَوْلَاءِ الصَّغَارِ، لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَانِكْتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلِّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (بشارة متى ١٨: ٧ب-١١). سنتأمل الآن بحديث المسيح هذا فابقوا معنا.

صديقي المستمع، ما هو المقصود بالعثرة؟ إن العثرة هي أن يقوم أحد البالغين أو الناضجين بالإيمان، بكلام أو سلوك أو عمل يسيء إلى الإيمان المسيحي الذي يدعيه. كأن يتفوه أحدهم بكلام مبتذل فيه شتائم، أو يسلك سلوكاً غير لائق به كمدعي للإيمان، أو يقوم بعمل شرير واضح كالسرقة والزنا وغيرها.

لعلّ السؤال الآن: لماذا حذّر المخلص المسيح بهذه الشدة من الذين يسببون العثرات؟ وللجواب نقول: إن هذا يشير إلى أهمية هذا الموضوع ومدى خطره على الذي يقوم بالعثرة، وأثره السلبي على الذين من حوله. فلقد أكد المسيح قائلاً: «وَيْلٌ لِدُنْكَ الْإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!» أي يا للنهائية المفجعة لمن تأتي بواسطته العثرة.

وكنا قد أوردنا قول المسيح عن هذا الإنسان: «خَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجْرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ» أي من الأفضل له أن يُرمى في أعماق البحر. ثم نصح الذي تأتي به العثرة بأن يقطع أي عضو من أعضائه ك يده ورجله وعينه بسبب له العثرة، على أن يُلقى كل جسده في جهنم النار. وأنه من الأفضل أن يدخل هذا الإنسان الحياة الأبدية أخرج أو أقطع أو أعور من أن يُلقى كل جسده في جهنم. لكن هل دعا المسيح إلى قطع أجزاء من الجسد؟ إن ما أراد المسيح قوله: أن على الإنسان الذي تأتي به العثرة أن يُزيل أي مانع يؤدي به إلى الخطية قبل أن يقع بها، وليس معنى هذا أن يقطع جزءاً من جسده.

ولذا على هذا الإنسان أن يحفظ نفسه من أي أمر يهدد نموّه الروحي، ويوقعه في خطايا تسبب العثرة للآخرين. حتى ولو اقتضى الأمر، وهذا في الحالة القصوى، أن يقطع أجزاء من جسده. وبهذا أكد المسيح أن الأمر خطير جداً ويمس المصير الأبدي لذلك الإنسان الذي تأتي به العثرة. ثم عاد المسيح للحديث عن الأولاد فحذّر من الاستهانة بالأولاد أو الأطفال، وعدم مراعاة وضعهم. وأنه يجب أن يكون اهتمامنا بهم على مستوى معاملة الله لهم. فهناك ملائكة في السماء معينون لرعاية الأطفال، ولهم حق المثل أمام الله. ولهذا علينا أن ننتبه لهؤلاء الأولاد لكي لا نعثرهم بكلامنا وسلوكنا وأعمالنا.

ثم ختم المخلص حديثه بالقول: «لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ». هذا هو بيت القصيد. أي أن هدف المسيح من مجيئه إلى عالمنا هو أن يخلص الناس الهالكين جميعاً. ولهذا فهو حذّر كل من يسبب العثرات في طريق إيمان هؤلاء الناس سواء كانوا كباراً أم صغاراً، من العواقب الوخيمة. لقد أعلن المخلص المسيح بتصريحه هذا أنه «قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» حقيقة هامة جداً، على كل إنسان أن يستوعب أهميتها. إن هدف الله الأساسي من إرساله للمخلص المسيح، هو لكي يخلص البشر جميعاً من عبودية الخطية، وينقذهم من سلطان إبليس، ويجعلهم من أولاد الله.

إن المسيح لم يأت فقط كباقي الأنبياء والرسل ليعلن رسالة الله للبشر، مع أنه كان أعظمهم. ولم يكن هدف مجيئه تأسيس مملكة أرضية يسود فيها العدل والسلام كما ظنّ اليهود. لكن هدف مجيئه الأساسي كان أن يحلّ مشكلة البشر الأولى، ألا وهي مشكلة

العبودية للخطية، والهلاك الأبدي الذي ينتج عنها. لهذا كان يجب على المسيح أن يأتي ويموت على الصليب فداء للجنس البشري بأكمله، أي يموت نيابة عنا نحن البشر الخطاة آخذاً عقاب خطايانا. ثم أن يقوم من بين الأموات، معلناً انتصاره الكامل على الخطية وإبليس والموت. وهكذا حقق هدف الله من مجيئه، وأعلن محبته الكاملة لنا نحن البشر الخطاة.

وها هو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل يكتب قائلاً: «لأنَّ هَذَا حَسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخْلِصِنَا اللهُ، الَّذِي يُرِيدُ أَنْ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يَقْبَلُونَ. لِأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بَدَلَ نَفْسِهِ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ» (١ تيموثاوس ٢: ٣-١٦).

إن المخلص المسيح هو إذن الوسيط الوحيد بين الله والناس، فهو الوحيد الذي بذل نفسه فدية على الصليب من أجل الجميع. وعلى كل إنسان أن يؤمن بهذا المخلص الفريد، لكي ينال غفران الله الكامل عن خطاياها، ويحظى بالحياة الأبدية. فهل تراك مستمعي تتوب عن خطاياك وتؤمن بهذا المخلص الوحيد.